النص الثالث: مسـرحيـة

آلام قمر القرية

دمشــق / ٢٠٠٧

الشخصيات

قمر القرية: صبية فائقة الجمال.. في الثلاثين من العمر.. زوجة شريف بيك

شريف بيك: رجل وسيم، مليونير، في الأربعين من العمر. كان مغترباً لأكثر من ربع قرن.

صبحي : رجل تجاوز الخمسين من عمره، متزوج ولديه أولاد. يعمل سائقاً عند قمر القرية، خبر الحياة، يعيش للحظة التي هو فيها..!

المشهد الأول

(الخشبة مظلمة، نسمع صراخ امرأة بشكل قوي.. وهي تتلوّى من الألم، وكأنها تتعرّض للاغتصاب.. ترتفع الإضاءة قليلاً على الخشبة .. فنرى ظل رجل وامرأة.. يؤديان حركات راقصة تعطي انطباعا بأنهما في حالة ممارسة الجنس بشكل عنيف.. تتداخل هذه الأصوات مع موسيقا صاخبة وكأنها وضعت للتورية.. في الزاوية الأخرى من الخشبة نرى ظل رجل آخر.. يحمل بيده حبلا ينظر باتجاه الجمهور، دون أن يلتفت إلى مصدر الصوت المنبعث منهما.. وهما في حالة الممارسة. نسمع صوت المرأة)..

المرأة : ابعد عني يا حيوان..!

(تختفي الإضاءة عن الرجل الذي يقف في الزاوية؛ وترتفع قليلا في الناحية الأخرى حيث نرى الرجل الآخر، وهو يُحْكمُ سيطرته على المرأة.. ثم نسمع أصوات تنبعث منه، وكأنه ارتاح من تلك الشحنة التي كانت تحملها شهوته.. بينما نسمع صوت المرأة وهي تشتم وتبكي بحرقة شديدة)..

المرأة: وغد..! تافه..! حيوان..!

إظلام

المشهد الثاني

(ترتفع الإضاءة على قمر القرية وهي تقف بمواجهة السرير تنظر إليه متحسّرة.. تقف وهي ترتدي ثوباً ناعماً شفافاً.. تقوم بحركات مثيرة، تبدو وكأنها شاردة أثناء نظرتها للسرير..)

قمر القرية: كلمات أمي تقضّ عليّ مضجعي

والوحدة ذبحتني..!

كل يوم أجلس على حافة هذا العمر الذاهب إلى الهاوية ؛

لألملم نفسي التي تبعثرت.

أيّ مالٍ، وأيّ عزٍ، وأيّ جاه..؟

ما نفعها كلها إن كانت عاجزة على الإتيان بلحظة سعادة حقيقية واحدة..؟

كلماتك ترن في أذني..

توقظ غباء هذا العالم لتضعه فوق رأسي...

ما أجمل أن يكون بال المرء هادئا..!

(تنفجر)

غبية..!

نعم أنا غبية..!

دائما كنت تقولين لي،

السعادة أيتها الحمقاء أن تكون كل أمورك على ما يرام.!

بالمال تستطيعين أن تفعلي ما تريدين..!

بالمال تحصلين على كل شيء..!

(تصرخ)

يا أمي..! أنا غبية.. لكنني أعرف أنها لن تكتمل مع أحد..!

(تصمت قليلا)

ما أجمل أن يكون البال هادئا..!

(ساخرة)

خاصة بعد الزواج..! إذا كانت الواحدة متزوجة من الحلم..!

(ساهمة)

كان حلماً لكل البنات..

(وهي تبتسم ساخرة)

كنتُ مثارَ حسدٍ من أهل القرية جميعا ؛

لكنّ الرجل لا يعيبه شيءٌ إلا جيبه

«وشريف ما شاء الله عليه كامل مكّمل».!

ماذا تريدين أكثر؟

مال وعزّ وجاه..!

وفوق ذلك وسيم وجذاب

«شبوبية بتاخذ العقل»..!

(تعود لحالتها السابقة.. وتنفجر)

أنا لا أريد كل شيء

أريد فقط شيئاً واحداً..

أن أشعر أنني مثل كل النساء..!

(وهي تبكي)

أنا امرأة يا أمي..؟

(تنفجر صارخة وهي تضع يديها على صدرها تعتصره وتدور على الخشبة كالمجنونة)

امرأة

امرأة

امرأة

امرأة

(تهدأ قليلا وتشرد بذهنها)

امرأة..!

تشتهي أن تكون قبالة رجل..

لتستمتع بأنها مركز اهتمامٍ صارخٍ ..!

(تصمت قليلا وكأنها تفكر..ساهمة)

حسن يا أمي..

مادام المال معي...

فبإمكاني أن أفعل كل ما أريد..

أنت قلت ذلك..؟

(وكأنها تصحو فتهمس لنفسها)

سأفعل.. سأفعل يا أمي.. !

إظلام

المشهد الثالث

(ترتفع بقعة إضاءة ببطء شديد على السرير، وبقعة أخرى عند النافذة نرى على الخشبة سريراً منخفضاً قريباً من الأرض.. تبدو عليه مظاهر الأناقة.. من حيث نوعية المطرزات الموضوعة فوقه، والتي يميل لونها للذهبي..

وعلى النوافذ تتوضّع ستائر من المخمل وتحتها الشيفون الأبيض.. في زاوية الخشبة من الجانب الأيمن ثمة طاولة وكرسيان..

ويتوضّع على الطاولة زجاجة ويسكي وكأسان أحدهما فارغاً..

ثمة صور معلقة على جدران الغرفة لفنانات عالميات، في أوضاع تعطي إيحاءات جنسية مختلفة.... نسمع موسيقا هادئة.....

نرى قمر القرية وهي تنهض من على السرير وتتجه نحو النافذة تتحرك بطريقة مثيرة وكأنها ترقص مع حبيبها.. ثم تعود باتجاه السرير..

تستلقي بطريقة فيها الكثير من الإثارة، وبينما يعلو صوت الموسيقا.. تخفت الإضاءة ببطء شديد حتى الإظلام..

تتوقف الموسيقا.. ثم نسمع صوت جرس بيانو.. وبعد هنيهة نسمع صوت رتاج الباب وهو يفتح..

ترتفع الإضاءة لنجد قمر القرية تدخل إلى المشهد و صبحي يسير خلفها واضعاً يديه حول خصرها..! يصل إلى الطاولة ويجلس)

صبحي : (يصبّ لنفسه كأساً).. جاء بوقته..!

قمر القرية: يبدو أنك ملتهب من الداخل..!

صبحي : (وهو يرشف جرعة من الكأس) من الداخل والخارج..!

(متشوقاً) ما رأيك..؟ هل أعجبتك البدلة.؟

قمر القرية: أفضل من تلك الخرق التي كنت ترتديها..! لقد غيرتك تماماً..!

صبحي : كل شيء معك غيرني..! أصبحت لا أعرف نفسي..!

قمر القرية: (وهي تدور حوله وقد وضعت يديها حول عنقه)

هذا جميل؛ لكن الأجمل ألا يعرفك أحد بعد الآن..!

صبحي : (يقف وقد استدار نحوها محاولاً عناقها)

ما عدت أعرف إلى أين امضي بهذه الحال..؟!

قمر القرية: (تتركه وتذهب باتجاه النافذة، تزيح الستارة بطرف إصبعها. تنظر عبر الزجاج) ما كان يؤرقني..أن اللحظة التي كنت أحاول تجميدها.. كانت تمضي قسراً، وغصباً عني..! كان الخوف من فقدك، أكبر من إحساسي بحريتي..! شعرت، ولأول مرة ينتابني هذا الإحساس.. أنك حريتي.. وأنني مسوّرّة بشيء لا أعرف ما هو، لكنه أقرب إلى الخوف..!

صبحي : لماذا..؟

قمر القرية: لقد حطمّتَ كل أسواري، واستبحتَ دواخلي، ووطنتَ حبكَ فيّ..

(تصمت لبرهة)

لقد استطاع هذا الحب أن يسيّطر على آخر ما تبقى لي من خلاياي، فأحكم قبضته عليها.

صبحي : (مزهواً) أعترف بأني صاحب هذا الإنجاز..!

قمر القرية: وأنا أعترف أيضاً..!

كل الذين قابلتهم قبل ذلك، كانوا يقرون بحقي في حريتي.. لكنهم كانوا أول من نزع عني هذا الحق، وهرولوا إلى الناحية الأخرى..!

صبحي : (بثقة مفرطة) لأنهم لم يقدّروك حق قدرك..!

قمر القرية: ماذا يعني تغير الأحوال..؟

(وهي تنظر إليه، بينما هو يقف صامتاً يومئ برأسه؛ أنه لا يفهم)

وهل هو ناحية إيجابية أم سلبية..؟ ولماذا الآن، والآن بالضبط..؟!

صبحي : أنا مثلك.. لا أعرف..! لكن أسئلة كثيرة تناوبت على فكري المتعب..!

قمر القرية: (تقترب منه وترمي برأسها على صدره، وكأنها أمام البئر الذي تتوق للشرب منه) ما أصعب أن تكون وحيداً وأنت تنتظر الخلاص..؟

صبحي : لم يكن بمقدوري أن أنشئ ولو كلمتين اثنتين؛ تفجران عجزي وقلة حيلتي..! خاصة عندما قام هذا المحتل الجديد

(يضحك وهو يشير إلى السرير)

بوضع حواجز التفتيش على مداخل حياتي، وعند منعطفات الوقت..!

قمر القرية: أنا مثلك.. شعرتُ بإحساس غريب..

كنت أمامك ضعيفة لدرجة الاستلاب..!

لقد حطم الصمت كل شيء في حياتي ..!

صبحي : الصمت حطم حياتك.. وأنت حطمت حياتي..!

قمر القرية: معقول..! أنا التي حطمتُ حياتك..؟

(وهي تلمّح لشيء ما) أم تلك..؟

صبحي : (وكأنه يفهم ما تعنيه) ماذا أفعل بها..؟ تلك التي لم تنطفئ..!

قمر القرية: كأن حياتك كلها مرهونة بها..!

صبحي : **(وهو يضحك ساخرا)** وما نفع الحياة دونها..!؟

قمر القرية: (وهي تلاطفه) دونها كارثة.
(بدلال وغنج) وبها يأتي السقوط..!

صبحي : ما أجمل السقوط إن كان معك..!

قمر القرية: كم بحثت عنك وأنا أرتجف.. انتظرتك طويلاً.! كنت أفتش عن مناسبة طبيعية أقدّم فيها فروض عشقي، لكن الحياة خذلتني. لم أجد نفسي إلا وقد أرغمت على الانحناء لقهر الحب..! أستطيع، ولأخر مرة سأردّ هذه الكلمات.. أن أحفر في أية لحظةٍ، ذاكرتي، وأسكنك بها طواعية وباختياري.! لكن؛ أن أجد روحي وقد انساقت خلف روحك مكرهة.. فذلك لم أقوَ على احتماله أكثر..! لهذا أعلن انهزامي أمام حبك..!

صبحي : (متسائلاً ومستغرباً) حبي..؟!

قمر القرية: نعم حبك..! **(تسترسل)** في المرة قبل الماضية، تلك التي جاءت بملء إرادتي لنهايتي.. وجدت العجب..!

صبحي : (يبتسم متباهيا وهو يصب لنفسه كأساً ويرشف منه) هممم...!

قمر القرية: كان كل شيء حولي يوحي بانعتاق النفس.. وخروجها من قوقعة المكان المكفهّرة..! لن يعرف أحد أن تلك الأمكنة التي انتسبتُ إليها معك.. قد سكنت في مواضع خاصة مني.. حتى لكأنني؛ أضحيت متماهية فيها..!!

صبحي : حين أتذكر ذلك الكلام المرعب.. تصل حالتي إلى الحدّ الذي لا أحسد عليه من الذهول والاستهجان معاً !!

(وهو يشير لجسدها)

هذا الجسد هو الذي استباحني بلا إذن...

هو الذي جعل وجداني منشغلا بشيءٍ لم أعرفه من قبل.. لكنني أحسسته بقوة !!

قمر القرية: كل شيء فيك..

يوقظ ذلك الصوت القادم إليّ

وهو ينادي ما كان مغمورا في داخلي...!

البعض قال إنه مجهولا..

لكنه ليس كذلك !!

إنه يعيش في داخلي..

أحسّه يعيش في تعرّجات روحي من الأزل..

صبحي : أتعلمين..! منذ أن تفتحت عيناي على هذا المرمر

(وهو ينظر إلى جسدها ويداعبه)

وبدأ الوعي يزداد فيّ.. وأنا أقول في نفسي..

أستطيع أن أمتشق الوقت في قبضة يدي ..

هذه المتعبة..! وأقتصّ من هذا العمر الذاهب إلى نهايات الحلم مهما كانت النتائج..!!

قمر القرية: خيالك يسكن ناظري كنت دائماً أراك ترتدي ثيابه..!
ومع أنني لم أعرف ذلك من قبل لكنني كنت أقنع نفسي حتى درجة اليقين أن ما تبقى من العمر لن يكون أكثر مما مضى؛ خاصة وأنا أرى الحياة تتسّرب من تحت أظافري...! يا للفظاعة...! كم هي الحياة قاسية...!

صبحي : مالك ولهذه الذكريات التي تربك تلافيف الدماغ.. وتجعل الكلام أقرب إلى الهذيان..!

(يمدّ يده مشيراً إليها أن تقترب)

تعالي فمثلك لم يخلق إلا للحب..!

(تنظر إلى صبحي وهي تبكي.. ومن ثم تقترب وتضع يديها حول عنقه وكأنها تودّ الرقص معه ثم تعانقه بحرارة.. وترمي برأسها على كتفه.. يقترب بها من السرير ويرميها عليه.. تخفت الإضاءة قليلا.. نسمع صوت موسيقا متداخلة مع ضحكات خفيفة، ثم تعلو الضحكات أكثر وتتحول إلى صوت مداعبة.. يتجمّدان على هذا الحال)..

إظلام

المشهد الرابع

(ترتفع الإضاءة على زاوية المسرح نجد شريفاً جالساً وحده يدخن.. وثمة مسدس بيده)

شريف: (وكأنه يتحدث لنفسه، وهو ينظر إلى المسدس)

كانت أمي تحدثني عن استحالة أن يأتي الربيع إلى حياتنا..

ونحن في هذا الجفاف القاتل..!؟

لماذا كل هذا الذي يجري ؟

ولمصلحة من.؟

كنت عاجزا..

كما الآن بالضبط..!

لم أستطع أن أبوح بكل شيء يعتمل في صدري..

لو كان بمقدوري حينها ؛

لجعلت عالي هذه الحياة سافلا لها..

والمفارقة المُرّة أن كل الذين نحبهم في حياتنا..

هم أنفسهم الذين يكيدون لسعادتنا..

يؤرقون وقتنا ووقتهم..

ومع ذلك لا نستطيع أن نقول لهم إلا كلمة واحدة..

نحبكم !

إنني بنفسي حملت هذه الخطيئة دون أن أعرف..

لأنها أحبت وتزوجت بمن تحب..!

(يصرخ وهو ينظر للمسدس بيده)

بنفسي حملت هذه الخطيئة دون أن أعرف أنني أذبح أختي وزوجها..!

فقط لأنها أحبت وتزوجت بمن تحب..!

يا إلهي..!

في المرة الأولى التي أحمل فيها مسدساً ؛

أقتل أقرب الناس إليّ..!

(يبكي بصمت.. ثم يصرخ منتفضا، وكأنه يقلد أمه)

أختك شريفة راحت «خطيفة»

وخلتْ رأسنا بالوحل يا شريف..

أبوك مات بالسكتة لأنه لم يتحمّل..

والآن يتحدثون عن الصلح.. !

ماذا يريدون منا..!

(يصرخ)

لكنهم يقولون إنها تزوجت على سنة الله ورسوله،

فلماذا تقولين ليتني أنجبت قطاً؛

ولم أنجبك يا عديم المروءة !

(يبكي بإذلال وهو ينظر إلى الصالة)

لا تقولي ذلك يا أمي....!

أنا ابنك شريف..

(يصمت لبرهة وهو ينظر باتجاه الجمهور)

حينها فقط..!

أعطتني المسدس..

واعتبرتني رجل البيت.!

وقالت أقتلها.!

(يصرخ)

لكنها أختي..

وحدها التي أحبها وتحبني..

إنها تحبني أكثر منك..

ومن أبي..!

(وهو يتذكر كلام أمه)

وماذا يعني **شريفة** راحت «خطيفة»..؟

وماذا يعني أنني رجل البيت الآن..؟

(يبكي وهو ينظر إلى الصالة)

ظلت تردد..

أقتلها وأغسل عارنا..!

لكن الأفظع حين قالت..

إياك وأنت تطلق النار أن تتوقف؛

إن رأيت زوجها أمامك فاتحا صدره ليتلقى الطلقات..

إياك أن تتوقف..!

اجعل رصاصاتك تخترق جسديهما معا ..

إياك أن تخاف من لون الدم وهو يتطاير في المكان..

إياك أن تشعر للحظة واحدة أنها أختك..

إنني بنفسي أحمل هذه الخطيئة دون أن أعرف..

قتلتها لأنها أحبت وتزوجت بمن تحب..!

قتلتها لأنهم أرادوني رجل البيت..!

(يبكي كالطفل الذي فقد عزيزاً عليه وهو يصرخ)

«الله يرحمك» يا شريفة ..

يا أختي..!

إظلام

المشهد الخامس

(ترتفع الإضاءة على الخشبة... قمر القرية ما زالت نائمة تتقلب في السرير ..

نرى شريف يذهب إلى جانب إحدى النوافذ.

يجول بنظره في أرجاء الغرفة تقع عينه على زجاجة المشروب والكأسين، ثم يقف وهو ينظر لقمر القرية..

يزيح الستائر عن النافذة بشكل كامل...ثم يبتعد قليلاً عنها وهو ينظر لقمر القرية)

شريف : ألا تودّين النهوض من الفراش..؟

قمر القرية: (تفتح عينيها و تتمطىّ بالسرير) مممممم..!

شريف : أصبحنا بمنتصف النهار.

هيا انهضي ما هذا الكسل..؟

قمر القرية: كم هو رائع النوم بعد التعب..!

شريف : وما الذي أتعبك..؟ (وهو ينظر إلى الزجاجة والكأسين)..

قمر القرية : (وآثار التعب واضحة عليها.. تنتبه لنظرة من شريف، فتغير الموضوع) متى عدت..؟

شريف : (ينظر إليها بريبة.. تتلاقى عيونهما.. يهز برأسه وهو صامت) ليس من عادتك أن تضعي المشروب هكذا..؟

قمر القرية:(تلاحظ القلق البادي عليه) ما بك يا شريف ..؟

شريف : (ينظر إليها..ساهماً) ها..!؟

قمر القرية: ما بك...؟ سألتك متى عدتَ ليلة أمس..؟

شريف : (يشعر وكأنه مذنب) عدتُ متأخراً، تقريباً قبيل الفجر..

أنا آسف حبيبتي.. ما كنت أظن أنني سأتأخر هكذا..!

قمر القرية: (وهي تنهض من السرير وتقوم بتسّوية شعرها الذي كان مفروداً على كتفيها) لا عليك.. لكن أين كنت..؟

شريف : (يلاحظ شعرها وهي تقوم بتسويته) ليس من عادتك أن تنامي وشعرك هكذا..!

قمر القرية : (تنتبه لملاحظة شريف الثانية، فتحاول مدارة الموقف..)

وكيف تريد أن يكون شعري أثناء النوم..؟

(تثور عليه)

ثم إنك لم تقل لي من قبل ؛ إن لدينا في السرير صالوناً لتصفيف الشعر..! غريب أمرك.!

شريف : (يفاجئ بردّها) لماذا كل هذه العصبية..؟

الأمر لا يستحق.. كل ما هنالك أنني لم أعتد على رؤيتك تنهضين من الفراش وشعرك بهذا الشكل..!

قمر القرية: لم تعتد هذا الأمر،

لكنه حصل..!

هل وقعت قطعة من السماء..؟

أنا أعرف..!

كل ذلك كي لا تقول لي أين أمضيت ليلتك أمس..؟

فعلاً كما يقولون

ضربني وبكى..!

شريف : (يثور بحدّة)

أقسم أنه لم يخطر ببالي كل ما تفكرين به.!

كان مجرد سؤال ليس إلا.!

قمر القرية: لكنك كنت تتحدث معي ساهما.. كيف تفسر هذا الأمر..؟

شريف : تعرفين كم أحبك..

(يهدأ ويبدأ بملاطفتها)

أعترف أنني قد أسوح بفكري عنك..!

وأؤكد اعترافي...

أنك مع ذلك تسكنين فيه

لذلك أظل محموماً.!

البارحة استيقظت من عملي،

وحملت أدراني المتعبة،

وألقيتني على السرير..!

لم تشعري بي..!

قلتُ لروحي المتعبة إنكِ المحال..!

ولكن روحي قالت إنها أنتِ..!

قمر القرية: (تهدّئ من حدة الموقف)

كم أنت رائع يا شريف..!

أنت أجمل من كل الأيام الماضية..!

شريف : (يقترب منها ويحضنها)

وأنت ما زلت أجمل شيء في حياتي.!

(وهو يتغزل بها)

لم يجد نفعاً هذا البعاد..

ولم يجد نفعاًأنك منهم وأنني مني !

هل سمعت عبارة كل عام وأنت حبيبتي..؟

إنها تدّق في رأسي كالصاعقة،

كضربة الشمس.!

واكتشفتُ أنكِ من فعل كل هذا بي..
كم أحبك..!

قمر القرية: (وهي تقف قبالته ممسكة بيديه) وأنا أحبك..!
(وهي تنظر إليه) كل عام وأنت حبيبي..!

شريف : ما أجمل هذه العبارة منك..
لكن لا أعرف لماذا أشعر الآن أنني مستودع لأحزان هذا العالم.!
(يعاود الشرود)

قمر القرية: (وهي ترمي برأسها على كتفه)
ما بك يا شريف..؟

شريف : (يأخذان وضعية من يريد أن يرقص)
البارحة اكتشفتُ أنني أفشل مَنْ سبح مع التيار.؟
تمسكتُ بعمري الذي تجاوز المألوف، حتى صرت ِحبيبتي.. غللتُ روحي بأنفاسك لأظل أدرك أنني إنسان..!
كانت عيونك تمدّ إليّ شيئا لم أعرفه من قبل..!
لكنه جعلني أشعر بارتباطي بك ..
حاولت كثيراً أن أبتعد لكنني لم استطع..!
كانت عيونك تقودني ..
شئت أنا أم أبيت !!

قمر القرية: (وهي ساهمة)

يتحرّك في داخلي شيءٌ غريب ..!

في المرة الماضية.. أحسسته واضحاً،

كما لو أنه مرّ عليّ أطول من دهر !

واقفتُ نفسي برهة؛ وأنبتها..!

إلى أين أمضي في هذه المعمعة ؟

إلى ما ستصير الحال لو تطورت الأمور أكثر؟

كل الأجوبة التي وصلتني من نفسي؛ كانت مؤطرة بعينيكَ ..

(وهي تنظر إليه وكأنها تراه للمرة الأولى)

لدرجة أن أحرف بعض الكلمات،..

سال عليها كحل العيون ؛

فانطمست ؛

أستطيع أن أقسم أنك أربكتَ حياتي؛

أفقدتني صوابي..

شريف : (مقاطعاً)

بل أنت التي أفقدتني صوابي.

شغلتني حتى أني أضعتُ بوصلتي..

(يتوقف عن الرقص ويبعدها عنه مسافة طول ذراعيه، حيث يداه ما زالتا على كتفيها.. يتغزّل بها)

يا لهذه العيون ما أجملها..

قمر القرية : (وهي تبتسم) إنها لك..!

(ترتمي على صدره) كم أنا مشتاقة إليك...!

(تحضنه بقوة، ثم تمسك أطراف شعرها وتمسح به وجه شريف حتى تغطيه وهما يضحكان بصوت عالٍ يصل حد القهقهة .. ويتجمّد المشهد..بينما تخفت الإضاءة بالتدريج)..

إظلام

المشهد السادس

(ترتفع الإضاءة على شريف وقد جلس إلى الطاولة.. يصب كأساً من الويسكي ويشربه دفعة واحدة)

شريف : **(لنفسه)** وكأن الأيام تعيد نفسها..

(يصب كأساً ثانياً)

ما زال جسدها جميلا متناسقا،

(يتغزل بجسدها وكأنه يراه أمامه)

كالرخام الأبيض .. لا..

بل كالمرمر تحت أشعة الشمس في يومٍ صيفي..

(يرشف من الكأس)

والذي تتاح له فرصة أن يمرّ بجانبها

أو أن تمرّ هي بجانبه..

يا هناهُ ..

(يلوّح برأسه منتشياً)

سيشعر بوهج

لا يعرفه أحد

إلا الذي كواه هذا الوهج الصاعق ذات يوم..

(يرفع الكأس)

بصحة هذا الجمال

وضفائر الشعر المنسدل شلالا على كتفيها..

آه يا شريف..

آه على شعرها..

وكأن ليلا قد أرخى سدوله على الكون..

تاركا وجهها،

ذاك الإطار المدوّر الأقرب إلى وجه القمر..

ولم يستطع أحد أن ينال منه..

آه يا شريف ..

لقد بقي ساطعاً بكبرياءٍ

متحدّياً هذا الظلام الممتد حتى منتصف ظهرها،

وربما أكثر..

بصحة هذا الجسد. !!

(يرفع الكأس)

آه يا قمر القرية..

أية نشوة تلك التي تعتري المرء

إذا ما رآك وأنت تتحدّين الجميع بمشيتك ..

والهواء يداعب هذا الظلام..

أيّ بائس أنا.. !

الصورة الكاملة لا تستطيع أن تصفها الكلمات..

كم أعجز عن ذلك !

لو كنت رساما،

قد أستطيع أن أصنع بألواني لوحة جميلة لك..

ولكنها مع ذلك ستظل مجزوءة!

(يدور برأسه على صور الفنانات المعلقة على الجدران وهو يتنهّد)

المشاعر أصعب وأعقد من أن تجتمع في لوحة واحدة لهذه المرأة...

كم كنتِ حلماً بالنسبة لي..

ستظلين حلماً آه يا قمر القرية..

ما أصعب أن تكوني حلماً..

(يتأمل الكأس الذي رشف منه جرعة)

ما كان أحد يعرف أن العنجّهية التي يتعامل بها شريف

(يشير لنفسه)

كانت جوفاء تفتقد إلى الحدّ الأدنى مما يمتلكه أيّ فلاح في هذه القرية...

(يتنهد)

ماذا يفيد الإنسان لو كسب العالم وخسر رجولته..!؟

ماذا سيكون الموقف لو عرف الناس بذلك !

الناس لن ترحمني أبداً...

سأكون بينهم كالبقرة التي سقطت،

وبأيديهم السكاكين،

ولا قوة لي تساعدني في الدفاع عن نفسي؛

لأقول إنني رجل بكامل وحشيتي أمام المرأة التي تشتهي أن أمزقها تحتي..

وأكسّر أضلاعها وأنا أعتصرها..

لأُخرِجَ منها كل تأوهات الحياة الرائعة

(يبكي وهو يتأمل الكأس الذي رشف منه جرعة ثم ينهض ويدور في الغرفة كالمجنون، وقد فعل الويسكي فعله به)

ماذا سيقول من يرى هذا البؤس ؛

الذي أوصلني للاعتراف بأنه؛

لن يجرؤ أحد أبداً

على استعادة الهيبة المفقودة.!

لن يكون بمقدور أحد في هذا العالم

أن يواجه هذه المأساة...!

حتى مجرد التفكير في هذا الأمر سيكون من الحماقة..

إنه يبدأ بالتفكير

وينتهي بحماقة قد توصل إلى أوسع أبواب الجحيم !

(يقع على الأرض وهو يبكي بحرقة)..

إظـلام

المشهد السابع

(ترتفع الإضاءة على صبحي وهو يرتدي الزيّ الشعبي، ويقف أمام واجهة قصر شريف متردداً)

صبحي: (تظهر علامات الارتباك على كل شيء فيه)

هل صادف أحدكم منْ يقول له ابتعد عن طريقي..

لا أريدك فيه !؟

في المرة الأولى التي سمعت فيها هذه الكلمة

وقفت مستغربا من كل هذا الذي يجري..!

لم يشفع لي عند الشريك،

كل ما فعلت من أجله..

حتى علاقتي مع الذين يخصّونه بشكل أو بآخر!

كم أنا مقتنع الآن أن القطط لا تحب إلا خَنّاقها !؟

(يجلس على طرف الدرج الموصل لباب القصر، يخرج علبة دخان، ويبدأ بلف سيجارة على الطريقة التقليدية)

عندما كنت شابا في مقتبل رحلتي بالحياة..

كنت أرى الأشياء والناس والأمور؛ مختلفة..!
خاصة علاقة الرجل بالمرأة.. !
كانت هذه العلاقة تخضع لمقياس واحد عندي..!
كل العلاقات العاطفية التي تلوّثت بها حياتي..!
كانت من منبع واحد،
وإن اختلفت الأنواع والأشكال !؟
كانوا يقولون عني – وخاصة الحساد –
إنني قادر أن أغير في كل يوم عشيقة؛
أيّ عهر هذا الذي أوصم به !؟

(مستطرداً)

بعضهم بالغ في الأمر كثيرا وصفني بالخطير،
أنا بنظره قادرٌ على الولوج إلى رحم العشق ذاته !!
والمشكلة ببساطة أنني لا أستطيع العيش دون امرأة..!

(صمت)

ماذا يعني إن فكرت بالزواج مرة ثانية..
زوجتي أصبحت غير قادرة على تلبية حقوقي الزوجية ..
«الله يجازيك يا فرس إبليس.. خربت بيتي وأنت تبيعني تلك الحبوب»

(مستدركاً وهو يلوم نفسه)

لكن كل الحق يقع عليّ أنا..!
كنت مثل كل الرجال الذين من سني..
الذين تخرّبت علاقاتهم بزوجاتهم.. بسبب ضرورات هذه السن..
الحق عليّ.. لم أرضَ بقسمتي.. !
صرت أطمح للزواج «ببنت أربعطعش»

(متباهياً)

يعني..!
صحيح أن الحيل صار متيناً والحمد لله...
لكن لم يبق عندي «دونم أرض، ولا راس طرش»..!
وأنا لا أستطيع أن أظل هكذا..!
لذلك قلت في نفسي
الناس في هذه القرية يتحدّثون بكل شيء..
وأولها الممنوعات..
فليجعلوني مادة لحديثهم ويذهبوا لجهنم..
أنا أريد أن أتزوج وسأستدين المال أيضا.. !
شريف بيك إنسان متفهّم وسيعطيني ما أريد..!

(ينهض ويقرّر طرق الباب)

إظلام

المشهد الثامن

(تدخل قمر القرية إلى المشهد، تراه وقد وصلت حالته حدّاً لا يحسد عليه من الانهيار الداخلي.. تقف على مبعدة منه وهي تنظر إليه مشفقة، ثم تجيل النظر بينه وبين زجاجة الويسكي قبل أن تذهب لتجلس على حافة السرير...ينظر إليها)

شريف : هل جئت تشمتين بي..؟

قمر القرية: ولماذا أشمت بك..؟

شريف : تعرفين لماذا..؟!

قمر القرية: لا.. لا أعرف..!

شريف : بل تعرفين..! أنا أعرف وأنت تعرفين..!

قمر القرية: ولماذا تصر أنني أعرف..؟

قل لي ما الذي أعرفه..؟!

شريف : **(مرتبكاً)** تعرفين وكفى..!

قمر القرية: (تشعر بالإحراج الذي ينتابه.. فتثور عليه)

إلى ما تلمّح بالضبط..!

من الصباح وأنت تتحدّث بالألغاز..!

قل بماذا تفكر..!

شريف : من أين جاءكِ التعب..؟

قمر القرية: (بسرعة دون أن تفكر بالكلام)

من غيابك عني..!

(تحدّق به.. وتشعر أنها أساءت التعبير.. فتصمت لبرهة) هل هذا سبب ثورتك (تسترسل بهجومها)

ثم هل حرام أن أشعر بالتعب..؟

شريف : (وكأنه يمسكها على الكلمة)

كيف تتعبين من غيابي..؟

هل الوحدة متعبة إلى هذه الدرجة..؟

قمر القرية: (تهدأ حين تدرك أنه لا يعرف شيئاً)

كم نحن مسكينان..!

شريف : (بعصبية)

أنت المسكينة..!

أنا لستُ مسكيناً..

لا أريد أن يقول أحد عني إنني مسكين..

لا أريد شفقة من أحد..!

قمر القرية: حسن كما تريد.. لستَ مسكيناً..

وأنا لا أشفق عليك..!

أنا أشفق على نفسي هل ارتحت..!؟

(تصمت قليلاً ثم تستطرد)

أتذكر حين أرسلتَ الجاهة لخطبتي..

حدث حينها تبدّ ل مفاجئ بالجوّ..

على غير العادة تهبّ الرياح وتتساقط الأمطار حبالاً كثيفة..

يومها قال أحدهم ....

إن الخير قادم على القرية كلها، وهذه بوادره قد بدأت..

هل تذكر ذلك..؟

شريف : ولماذا أنت الآن تذكرين هذه القصة..؟

قمر القرية: لأن أحدهم قال أيضاً إن الخير القادم من شريف سيكون كبيراً أكثر..!

هل تذكر..؟

شريف : كان الناس حينها يؤلفون عني القصص..

يتهولون بكل شيء..!

لكن أعود وأسأل..

لماذا تذكرين هذه القصة الآن..؟

قمر القرية: لأني لم أرَ من كل هذا الخير إلا التعب والملل..!

شريف : إلى ما تلمّحين.؟

قمر القرية: **(وهي تدور في أرجاء الغرفة كالمجنونة)** أتذكر..

أكثر من نصف زجاجة من الويسكي الفاخر..

هذا المشروب الحرّاق،

الذي أحضرته خصيصاً لتلك الحفلة..!

(تذهب باتجاه الطاولة وتمسك الزجاجة بأسى)

لم أعرف كيف استسغته للمرة الأولى..

كنت منساقة وراءك..

أتذكر..!

أنت الذي وعدتني أن هذا المشروب الملكيّ الذي كرمّتني به..

سيغيّر كل ألوان الحياة أمام عينيّ ..

شريف : (يدخل في اللعبة معها وكأنه يتذكر)

إنه باختصار شديد سيُنزل الغيوم من السماء، ليجعلها تحت قدميك..!

قمر القرية: (وكأنها تذكرّه)

كنتَ قد انتهيتَ من خلع بدلتك الأنيقة وارتديتَ بنطال البيجامة الحريرية.. أتذكرها..!

شريف : (ينهار شريف أمامها)..

قمر القرية: (وهي تستحضر الماضي)..

حملتني ومددّتني عارية على أرض الغرفة..

فوق هذه السجادة..أتذكر..؟

كانت الإضاءة خافتة جداً،

مثل الأفلام الرومانسية

التي زرعت في نفوس الأجيال تقاليد خاصة جداً

للدخول إلى عوالم الحب

والجمال والتوحّد الشفاف مع موسيقا الروح والانبهار

ألم تقل ذلك..؟

(يهزّ برأسه وهو ينظر إليها باضطراب شديد، بينما هي تسترسل)

حينها أخرجتَ سيكارة وأشعلتها..

وجلستَ قبَالة هذا الجسد الفضيّ المسجّى أمامك..

جسدي..!

(وهي تشير لجسدها)

كنتَ تتمقلُ كل انحناءة فيه..

كأنك تريد أن تحفظ غيباً تضاريس هذا القمر الذي تعّتعّه الويسكي..

استعداداً للهبوط فوقه،

وتحقيق الانتصار المرتقب.!

(تصمت لبرهة)

وماذا بعد..؟

تأتي اليوم لتسألني لماذا كنتُ متعبة..؟

ألا تذكر..؟

(ترتفع وتيرة الصوت عندها)

من قبل أن تغلق علينا غرفة النوم.. تقيأتُ..!!

كل من كان حولي من البنات قلنَ..

مسكينة قمر القرية..

كان إقياؤها صعباً..

جعلها تفرغ ما بمعدتها وما بقلبها معاً...

وها أنا في هذا اليوم أشعر وكأنني أريد أن أتقيأ..أكثر وأكثر..!

(وكأنها تذكرّه.. وهو يبكي..)

تكلم..!

قل شيئاً لماذا تبكي هكذا..؟

قل ماذا حصل..؟

(يحدّق شريف بالزجاجة)

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل،

حين بقينا وحدنا في غرفة النوم،
الغرفة التي أذهلت كلَ منْ رآها في ذلك الوقت
(وهي تشير للغرفة)
وكنا قد انتهينا من تناول اللحم المطبوخ والمشوي..
وتجرّعنا أطيب مشروب في العالم..
مشروبك الملكي الفاخر..!
الويسكي..
الويسكي يا شريف..!
كانت القرية تتطلع إلينا بكثير من الشوق والانتظار..
لعظمة الإنجازات التي ستأتي..
أنت شريف بيك المليونير..
وأنا عروسك....
زوجتك.. قمر القرية..!
لعن الله هذه القرية..
وهذا القمر الذي خفت ضوءه على يديك..!
(يبكي)
قل شيئاً لماذا تبكي هكذا..؟
قل شيئا.. إن كنت تستطيع..! أفرغ ما بجوفك..
تقيأ تلك الذاكرة..!

شريف : (يتوقف عن البكاء.. وفجأة يستجمع قواه ويستذكر)

أنا شريف بيك المليونير..

وأنت عروسي...

زوجتي قمر القرية..

ما أسعدني بك يا قمري..!

(يأخذ رشفة من كأس الويسكي)

كنتُ أشعر حينها

أن قوة من الرجولة المفرطة تجتاحني...

لم لا وقد وجدتُ نفسي أمام جسد

(وهو يتغزّل بجسدها)

مكتمل الأنوثة..

خارق بتقسيماته..

متناسق بتضاريسه...

كانت عيناي معلقتين على انحناءة تحت الظهر،

حين تحرك هذا الجسد بتكاسل شديد وإغراء لافت..!

قمر القرية: (مقاطعة)

كنت أظن أنني أقف على بوابة الزمن الجديد...!

أكمل، قل كل شيء..!

شريف : عندما وضعتُ السيكارة الثانية بفمي وبدأتُ أمجها..
كانت لحظة انفجار البركان قد أوشكت ؛
شعرتُ أن الظمأ بدأ يغزوني
فصرت أعبّ الخمر أكثر وأكثر..
(يأخذ رشفة من كأس الويسكي)
ومع كل رشفة من الكأس كنتُ أتبعها بمجّة من السيجارة..
(ينهار أمامها)
لم أكن أعلم حينها أن شيئاً صار يتسّرب من رجولتي
مع كل نفسٍ كنت أنفثه؛
حتى إذا ما وصلت لمنتصف السيكارة..
كانت الدموع قد اندلقت مع أعصابي..!!
لا أعرف لماذا..
كانت أسوأ لحظة في حياتي..
وأنا أرى البركان الذي في داخلي يخمد دفعة واحدة..!
قمر القرية: (تقترب منه.. تحضنه وهي تحاول تهدئته)
وحزنتَ حين قلت لك يا لنا من مسكينين..!
(شريف يحضنها كالطفل وهو ما زال يبكي. يتجمدان على هذا الحال.. وصوت الموسيقا ما زال ينبعث مذكراً بالموسيقا التي كانا يسمعانها في تلك الليلة المشؤمة... بينما تخفت الإضاءة عليهما).
إظلام

المشهد التاسع

(ترتفع الإضاءة على شريف وهو يرتدي بيجامة حريرية.. جالساً على أرض الغرفة يدخن السيجار)..

شريف : (لنفسه) خِفتُ وأنا أحاول استجماع قواي،

وأجمع كل الخطوط المتشابكة وأحللها..!

خِفتُ كثيراً..

كنت أقول لنفسي، يجب أن أصل إلى الحقيقة..

يجب أن أرتاح !!

(يتنهد)

ما أجمل أن يرتاح المرء ولو متأخرا..

المهم أن يرتاح..

لكن السؤال هو كيف !؟

كنت أخاف أن أصبح علكا في فم الناس.. يعلكونه غصبا عني !!

قمر القرية: (تدخل وهي ترتدي ثوبا شفافاً للنوم يظهر مفاتنها تجلس إلى جواره)

كيف أصبحتَ الآن..؟

شريف : لا بأس..!

قمر القرية: هل ما زلت مصرّاً على السفر..؟

شريف : لا بد من السفر.. !

يجب أن أوقع عقد شراء ماكينات المعمل الجديد..!

قمر القرية: لم لا يأتي أحد منهم ويحضر العقود كي توقعها هنا..!

شريف : لا يجوز.. !

المشتري هو الذي يذهب للتوقيع وليس البائع..

ثم إني أريد معاينة المَكَنْ على أرض الواقع..!

قمر القرية: وكم يوم ستبقى هناك..؟

شريف : ليس أقل من ثلاثة أيام..!

قمر القرية: لم لا تأخذ صبحي معك..؟ إنه سائق ماهر..!

شريف : صبحي يفهم بسيارتك فقط..!

أما سيارتي فهي فوق مستواه..!

كما إنني لا أحب أن يقودها أحد غيري..!

قمر القرية: الحق معك.. كل واحد حرٌ بسيارته..! لكن كن حذراً..!

(تنهض وتسير باتجاه السرير) ألا تريد أن تنام..؟

شريف : ليس بعد..!

قمر القرية: يجب أن تنام، كي تستطيع القيادة وأنت مرتاح..!

شريف : سأنام.. لكن ليس الآن..!

قمر القرية: (تصعد إلى السرير بطريقة مثيرة، وهي تنظر إليه)

ليلة سعيدة..!

شريف : **(دون أن يلتفت إليها)**

وأنت أيضاً..!

(تخفت الإضاءة على السرير وتبقى بقعة ضوء على شريف وهو جالس في مكانه.. يحتسي الويسكي)

إظلام

المشهد العاشر

شريف: (لنفسه وكأنه يتذكر)

الحياة مليئة بمظاهر البسط و الانشراح..
وعلى الجميع أن يغتنم الفرصة التي لن تعوّض.!!
الحق معك يا حماتي..!
على الجميع أن يغتنم الفرصة..!
ولكن كيف..؟
لم تقل لي ابنتك كيف..!
ولا أي واحد في هذه القرية اللعينة يعرف كيف..!
ولا حتى الرجال..!
أولئك المتهاوين على عتبة الفقر وسد الرمق،
وكفاية الحاجة..
يأتون إلى بيوتهم، قادمين من عملهم..
يتناولون طعام الغداء..
وينامون كما الباشاوات في فترة القيلولة..
ليكونوا جاهزين بعد ذلك لأن السهرة اليومية بانتظارهم..

ولكل واحد منهم «شلة» خاصة به تجتمع كل يوم في ساعة محددة ليشربوا أو يلعبوا الورق !

هل هذه هي مظاهر البسط والانشراح، التي تعرفها القرية يا حماتي..!

إذا كان هذا هو البسط..

فماذا يعني أن ينام الرجل على سرير ملوكي وبجانبه القمر..!

(ينظر بطرف عينه صوب قمر القرية وهي مستلقية على السرير)

قمر القرية: (تتظاهر بأنها لم تسمع ما يقول، تفرح من هذا الكلام فتتجرأ وتطلب منه الصعود على السرير)

شارفنا على الفجر..

هيا يا حبيبي..

ما زلت أنتظرك..!

تعال إلى جوار قمرك في سريرك الملكي..!

شريف : لم يحن الوقت بعد..!

نامي.. سأشرب أيضاً..!

قمر القرية: (تبدو عليها علامات الانزعاج والقهر.. فتثور عليه)

أطفئ النورواشرب كما تشاء، ذلك السم «الهاري»

(تصمت قليلاً ثم تتابع)

هل أنت متأكد أن ثلاثة أيام تكفيك في هذه السفرة..!

شريف : أظن ذلك..!

قمر القرية: (بسخرية)

ليكن أسبوعاً أو عشرة أيام..

هذا أفضل..

كي تنهي كل أعمالك بهدوء.. !

(ترفع الشرشف لتغطي رأسها بطريقة كاريكاتورية)

شريف : كما تشائين..!

قمر القرية: هيا.. أطفئ النور..!

شريف : كما تشائين..!

كم يوماً تريديني أن أبقى هناك ..؟

قمر القرية: (بانزعاج واضح) لتبقى كما تحب ولكن.. أطفئ النور..!

(يذهب باتجاه مقبس الكهرباء ويديره.. تخفت الإضاءة بالتدريج.. ويبقى بروفيل شريف هو الذي يظهر وهو يمشي في الغرفة.. ثم وهو جالس يشرب..

بعد ذلك ينهض ويرتدي ثيابه ويأخذ حقيبته، ويخرج من الغرفة)..

إظلام

المشهد الحادي عشر

(نسمع صوت جرس الهاتف.. ترتفع الإضاءة على الخشبة، نرى قمر القرية مستلقية على السرير، وهي تمسك بسماعة الهاتف تتحدث وكأن النوم ما زال على عينيها)

قمر القرية: ألو.. أهلاً..السيارة جاهزة.!

حسنٌ.!

لكنني لا أريد أن أخرج هذا اليوم.!

نعم سافر.. !

لا.. لن يعود قبل عدة أيام.. !

لوازم المطبخ ..؟

نعم أحضرها كلها..

اسمع..!

لا أعرف بالضبط..!

أحضر كل ما تراه مناسباً

(صمت قصير)

قلت لك لا اعرف..!

ماذا تريد أن تأكل أنت..؟

بالمناسبة أحضر معك زجاجة من النوع الجيد..

لا.. لا أريد ويسكي هذه المرة..!

أريد ذلك النوع الذي شاهدنا في الفيلم.. !!

(وهي تضحك بدلع)

لا ليس بيرة..

نعم الذي شاهدناه في الفيلم آخر مرة..لم تنتبه عليه أساساً.!

(بغنج)

لماذا..؟ بماذا كنت مشغولاً..؟..

(صمت وهي تمرر يدها على رقبتها)

همم.. !

(بهمس واضح وغنج)

وماذا أيضاً ؟

همم..! همم.!

حينها كانا يشربان الشمبانيا..

نعم شمبانيا..!

كان يحتفلان..

(تضحك ضحكة قوية)

لا ليست «شنينة» بلشمبانيا..!

أريد أن أحتفل أنا أيضاً..

نعم مثلهم تماماً

ألا يحق لي..؟

(بعصبية)

ماذا ينقصني..؟

أعرف أنه لا ينقصني شيء...

(صمت)

لا لست منزعجة منك..

(صمت)

أقسم أنني لست منزعجة ..

(تضحك بغنج)

أحسستُ ذلك من كلامك..

(تتقلب على السرير)

وأنا أيضاً.....

(صمت)

يا لئيم.. لقد تغيرت كثيراً.!

نعم.. لا. لا.!

هكذا أفضل..

(بهمس واضح)

وأنا محتاجة أيضاً ..

آه منك أيها الرجل..!

لا تتأخر.. ثلاث ساعات..!

كثير جداً .. هيا لا تضيع الوقت..!

هذه لك. برغم كل شيء. دمك خفيف.!

(تقبل السماعة بغنج)

«باي»..!

(تضع قمر القرية السماعة وتنهض من السرير،

تسير بحيوية وكأنها ترقص..

تتجه نحو النافذة وهي تدندن بصوتها ؛

تفتح الستارة تنظر عبر الزجاج، تشرد وهي تحدّق أكثر..

تضع يديها على الزجاج وكأنها تبصم بكامل كفيها.

ثم ترمي رأسها عليهما..

تظلم الخشبة دفعة واحدة...

ثم ترتفع إضاءة خفيفة تعطي إحساساً رومانسياً ،

نرى قمر القرية وهي بوضعها السابق،

ونرى شريف يقف عند الباب وهو يرتدي ثياب صبحي .. !

ترفع قمر القرية رأسها ببطء شديد وهي تعيش لحظة حالمة..

تنظر إلى شريف نظرة اشتياق..

يسرعان إلى بعضهما..

ثم يقف كل منهما مادّاً يديه للآخر، تفصل بينهما خطوة واحدة..

تتشابك الأيدي..

ثم ترتمي قمر القرية في حضنه ؛ وكأنها تنتظر هذا اللقاء منذ مدة طويلة..!

يتعانقان بشوق واضح..

نسمع موسيقا رومانسية حالمة..

ثم يرقصان وهما يمارسان طقس الحب بلذة كبيرة..

نسمع صوت جرس بيانو..

تظلم الخشبة،

وتتوقف الموسيقا دفعة واحدة مع أول رنة للجرس الذي يستمر بالرنين..

ترتفع الإضاءة من جديد،

نرى قمر القرية وهي تقف عند النافذة بوضعها السابق..

ترفع رأسها وكأنها استفاقت من حلم جميل،

تنظر نحو الباب، تذهب إليه وتفتحه..

يدخل صبحي إلى المشهد ..

يتعانقان بشوق وهما ما زالا واقفين عند باب الغرفة..

نسمع صوت جرس الهاتف.. يلتفتان نحو مصدر الصوت معاً..

ثم يسيران وهما متعانقين إلى جهاز الهاتف..

تبقي قمر القرية يدها اليسرى على خصر صبحي بينما تمسك السماعة بيدها الثانية).

قمر القرية: (بحيادية واضحة)

ألو..

(صمت)

شكرا شريف..!

إظلام

المشهد الثاني عشر

(ترتفع الإضاءة على المشهد نسمع الموسيقا الرومانسية التي كانت تسمعها قمر القرية في المشهد السابق.. ولكن بصوت خفيف.. نرى صبحي مضطجعاً على السرير..

وقمر القرية تجلس على الأرض في المكان الذي كان يجلس به شريف.. وهي تصبّ كأسين من الويسكي.. ثم تحملهما وتسير باتجاه صبحي.. الذي يتناول الكأس منها وهو ما زال بوضعيته.. يشدّها إليه، فتجلس على السرير بجانبه.. ينقران الكأسين وهما ينظران لبعضهما)

صبحي : لو تعرفين مدى السعادة التي أحسها الآن معك..!

قمر القرية: لماذا..؟

صبحي : ماذا..؟

قمر القرية: لماذا تُحِسُّ هذه السعادة معي..؟

صبحي : ربما لأنني وجدت ما كنت أبحث عنه..

قمر القرية: وما الذي كنتَ تبحث عنه..؟

صبحي : كنت أبحث عن نفسي..!

قمر القرية: وما الذي أضاع نفسك منك..؟

صبحي : القرية..! هذه القرية التي أنت قمرها..!

قمر القرية: لم أفهم عليك..!

صبحي : صحيح أن خبرتي بالحياة كبيرة وغنية..
لكن هذه القرية الملعونة لا تعرف إلا وجع الرأس..!
لا تترك أحداً بهمه..! ما لهم ومالي؛ إن كنت غيرت زييّ .. أو خلعت الحطة والعقال..؟

قمر القرية: (تضحك قمر القرية) حشريون.. ماذا ستقول لهم..!
(بدلع وغنج)
إنهم لا يعرفون، أنك هكذا أفضل!
أنت الآن أكثر وسامة من أي شاب في العشرين..!

صبحي : تصوّري كل القرية ما عاد لها حديث غيري..!

قمر القرية: الحق معهم.. حُسّاد.. وعيونهم ضيقة..!فجأة؛ يرون أمامهم جوهرة جميلة، لم يعرفونها من قبل..! ماذا تريدهم أن يفعلوا..؟

صبحي : أتعلمين..؟ ينتاب المرء إحساس قد لا يتبين طبيعته.. إذا ما استغرق في مثل هذه القصص والحكايات.. لا لشيء إلا لكونها مليئةً بالكره ومثقلةً بكمياتٍ كبيرةٍ من الحقد الأسود الدفين في هذه الصدور التي تحاول أن تتلمع أمام الآخرين، وتتظاهر بأنها تعرف الله وتخافه لهذا السبب أكره أن أكون عند الناس مادة للحديث..!

قمر القرية: أما كنت مثلهم..؟

صبحي : حتى عندما كنت اجلس معهم، لم أكن أتحدث عن أحد..! من طبعي أن لا أتدخل بما لا يعنيني.. تخيلي أن كل شيء في هذه القرية مباح إلا الحديث في السياسة والعشق وشرب الخمر لأنهم يعتبرونه منقصة للكرامة..!؟

قمر القرية: (وتضحك بدلال واضح)

أغبياء..! يمنعون أجمل ما في الحياة..!

(وهي تتغنج)

لم يتذوقوا معنى الحياة كما يجب أن تكون..!

صبحي : **(وهو يحضنها)**

مثل هذه الحياة..! هل تتزوجينني..!

قمر القرية: لكنني متزوجة..!

صبحي : عندما تصبحين أرملة..!

قمر القرية: ماذا تقول..؟ بالتأكيد أنت مجنون..!

صبحي : ما عدتُ أحتمل هذا الوضع أكثر..! يجب أن تكوني لي.. أنا وحدي الذي أقدّر قيمتك

قمر القرية: وشريف..؟ زوجي..؟

صبحي : زوج مع وقف التنفيذ..!

يمتلك كل شيء إلا أن يكون زوجاً ناجحاً..!

والحياة لا تستقيم هكذا..!

لو امتلك هذا الأمر، ربما ما التقينا..!

(يشدها إليه ويحضنها)

من الآن سأجعل حياتك مختلفة..!

قمر القرية: إنها الآن جميلة..!

صبحي : وسأجعلها أجمل.!

قمر القرية: كم أنا متشوّقة لرؤية تلك الحياة..!

(تضحك بدلال واضح وتتغنّج.. بينما هو يقهقه)

إظلام

المشهد الثالث عشر

(الخشبة مظلمة، نسمع صراخ امرأة بشكل قوي وهي تتلوى من الألم، وكأنها تتعرّض للاغتصاب..

ترتفع بقعة ضوء خافتة على الخشبة ..

نرى ظل رجل وامرأة وهما يتعاركان بشكل عنيف..

تتداخل هذه الأصوات مع موسيقا صاخبة وكأنها وضعت للتورية..

في الزاوية الأخرى من الخشبة ترتفع بقعة ضوء أخرى..

نرى ظل رجل آخر ينظر نحو الجمهور، يحمل بيده حبلا..

ينظر إلى مصدر الصوت المنبعث من الرجل والمرأة وهما في تلك الحالة..

نرى المرأة تدفع الرجل عنها بقوة..

يقع الرجل أرضاً؛ لكنه يشدّها إليه فتقع فوقه..

نسمع صوت المرأة وهي تدفع الرجل عنها بقوة)

المرأة: ابعد عني يا حيوان..!

(تختفي الإضاءة عن الرجل الذي يقف في الزاوية

نرى الرجل الآخر، وهو يُحْكِمُ سيطرته على المرأة...

نرى المرأة تدفعه عنها بقوة فيقع أرضاً ثانية؛

نسمع أصواتاً وهمهمات ألم وإجهاد تنبعث منه..
نسمع صوت المرأة التي ابتعدت عنه وهي تشتم وتبكي بحرقة شديدة)..

المرأة : وغد..! تافه..! حيوان..!
لقد سممّت حياتي..
ملعونة هذه الحياة..!
بقصورها ومالها وعزها وجاهها..
سئمتها معك.. !
يجب أن تموت..!
يجب أن تموت..!
أريد أن أحيا..!
من حقي أن أحيا..!

(الإضاءة على الخشبة ما زالت خافتة..
نرى ظلال الشخصيات التي تتحرك فقط..
تهرب المرأة خارج المشهد.. وكأنها ذهبت لإحضار شيء ما...
في هذه الأثناء يقترب الرجل الأول من الثاني،
يقوم بلفّ الحبل حول عنقه بقوة كبيرة
يقاوم الثاني لكنه لا يستطيع فينهار..

يقع جثة هامدة..

يخرج القاتل وهو يسحب الجثة خارج المشهد باتجاه الجهة حيث مقبس الكهرباء..

يختبئ في مكانه..

تدخل المرأة من جديد إلى المشهد وهي تبكي بحرقة وتصرخ)

المرأة : أين أنت أيهاالحيوان..!

جبان اظهر..!

اليوم سينتهي كل شيء..

(لنفسها)

يجب أن أشعل الضوء حتى أراك..

مابك تختبئ كالجرذان..!

(تذهب المرأة باتجاه مقبس الكهرباء حيث يختبئ الرجل القاتل، الذي يظهر أمامها فجأة.. تطلق النار عليه فوراً..

نسمع صوت انطلاق عدة رصاصات من مسدس ممتزجة مع صوتها..

نرى شبح المرأة وهي تقترب من الرجل الذي يتأوه متألماً..

يصمت الرجل نهائيا وقد تحول إلى جثة..

بينما نراها وهي تحمل بيدها المسدس..

تقف بمواجهة الجمهور)..

المرأة : (وكأنها تبرر فعلتها)

أنت من بدأ اللعبة..

فتحمل..

قلت لك ابتعد عني..

لكنك كنت مصّراً على خنقي بسماجتك..!

ظننت أن المال يشتري كل شيء..!

إنه فعلا يشتري كل شيء..

إلا السعادة..!

كان عليك أن تعرفني أكثر..

أنا مجنونة..

أحيانا؛ كانت تمر عليّ لحظات أقرف فيها من نفسي..!

أنت أوصلتني إلى هنا..

الآن يكفي..

أريد أن أعيش..!

أريد أن أرى الحياة على حقيقتها..!

المرأة : (تذهب باتجاه مقبس الكهرباء وتشعله، فترى الجثتين معا، تصرخ.. لا.. لا..)

(تدور على الخشبة وهي كالمجنونة.. تنهار أرضا)

هذه هي الحياة..
هذه هي السعادة ..
مجنونة... مجنونة

(تطلق النار على نفسها)..

يسدل الستار

دمشق / ٢٠٠٧

* * *